الفصل العاشر

الاسلام وتعليم المرأة

لقد فرض طلب العلم على المرأة كما فرض على الرجال فى الاسلام فقد سوى الدين الاسـلامى بين المرأة والرجل فى الأمور الروحية والواجبات الدينية ولم يفرق بينهما فى العلم والتعلم قال الرسـول الكريم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » من غير تفرقة بينهما فى طلب العلم • فالعلم مقدس فى الاسلام وطلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة •

وقد كان للمرأة العربية فى الجاهليـة الحق فى التعلم وكان بين النساء كاتبات وشاعرات • وحينما ظهر الاسـلام بدأت الحياة العقليـة تنشط وتحيا لدى العرب وكسبت المرأة حقوقا اجتماعية لم تكن لهـا قبل الاسلام فنهض التعليم بين النسـاء • ووضح الكتاب والمؤرخون أسماء المسلمات المتعلمات اللاتى كن يعرفن القراءة والكتابة فى صدر الاسلام • فأثبت البلاذرى أن السيدة حفصة زوج النبى كانت تقرأ وتكتب وعائشة بنت سعد كانت تعرف القراءة والكتابة ، والسـيدة عائشة بنت أبى بكر كانت تقرأ المصحف وتعلم الكثير • قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » أى البيضاء وقد قال فى شأنها عروة بن الزبير : « ما رأيت أحدا أعلم بفقـه ولا بطب ولا بشعر من عائشة » وقد روت عن النبى صلى الله عليه وسـلم ألف حديث •

ومن النساء المسلمات النابغات : الخنساء وهى شاعرة عرفت بجودة الشعر والوطنية الصادقة والوفاء والتضحية والسـيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنه ، وهى شاعرة أديبة عالمة بضروب الايقاع ، وسيدة الناقدين وكان الشعراء يفدون على دارها من كل حدب وصوب للمباراة بالأشعار فى حضرتها • وقد خطت عائشة بنت طلحة خطوات السيدة سكينة فاشتهرت بنقد الشعر والغناء واجتمع لديها الأدباء والشعراء والرواة للمنافسة فى الأدب والشعر والرواية •

وان الكتب العربية مملوءة بأسماء المسلمات النابغات فى العلوم الدينية والأدبية والطبية ، وأسماء الجوارى الشـهيرات فى الآداب والفنون •

وقد اشتهرت المرأة المسلمة بالصدق فى عملها والأمانة والدقة فى

روايتها وأخذ أفاضل العلماء برواياتهـــا • وقد قال الحافظ الذهبى ـ وهو محدث عظيم ـ (وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها) ومن النساء الشهيرات فى عالم الحديث : كريمة المروزية وسيدة الوزراء وكانت من اهم راويات الأحاديث التى جمعهـــا البخـــارى • وقد ذكر الحافظ بن عساكر ـ وهو أحد رواة الحديث ـ أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعا وثمانين أستاذة •

وقد سرقت مرة امرأة من قريش منذوات الحسب والنسب فعوقبت عقاب من يسرق فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فحاول أحد المسلمين أن يشفع لها فقال له النبى : صلى الله عليه وسلم : « أتشـــفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : يأيها الناس انما أضل من قبلكم انهم اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد • وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » • ففى الاسلام مساواة بين الرجل والمرأة فى الثواب والعقاب ولا يتميز عليها الا فى انه مطالب بالانفاق عليها ورعايتها والدفاع عنها • قال تعالى فى موقف المرأة « ولهن مثل الذين عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وحينما بدأ النبى صلى الله عليه وسلم ينشر قواعد الاسلام ومبادئه نشرها بين الرجال والنساء من غير تفرقة •

وان من يدرس هذا الموضوع وهو : تعليم المرأة فى الاسلام يجد رأيين متناقضين فيه :

الأول : رأى من يقول بتعليم المرأة القرآن الكريم والدين الاسلامى ليس غير وينهى عن تعليمها الكتابة والشعر • وقد بالغ أنصار هذا الرأى وادعوا ان المرأة ناقصة العقل والدين وان نقصها لا يشجع على تعليمها العلوم • وفى هذا المعنى يقول شاعرهم :

النســـاء ناقصـــات عقل ودين
ما رأينـــا لهن رأيا ســـنيا

ولأجل الـــكمال لم يجعل الله
تعـــالى من النســـاء نبيـــا

ومنهم القابسى الفقيه القيروانى (١) فهو لا يرى بأسا من تعليم المرأة القرآن والدين لا « الترسل والشعر ••• وانما تتعلم ما يرجى له سلامة

---

(١) صاحب كتاب «الفضيلة لاحوال المتعلمين» .

ويؤمن عليها من فتنته وسلامتها من تعلم الخط أنجى لها » وهو رأى يسىء الظن بالمرأة ولا تقول به أكثرية المسلمين ٠

الثانى : رأى من ينادى بتعليم المرأة من المسلمين وهو رأى سديد يستمد قوة عظيمة من اسناده الى أحاديث نبوية تشجع على تعليم المرأة منها الحديث الذى ذكرناه فى بدء الموضوع وهو : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقوله صلى الله عليه وسلم : « وأيما رجل كانت عنده وليدة (١) فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »

وقد حض النبى على تعليم أزواجه الكتابة فقال للشفاء العدوية ـ وقد كانت تجيد القراءة والكتابة فى الجاهلية قبل الاسلام ـ « ألا تعلمين حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة ؟ »

وقد انتصر الرأى القائل بتعليم المرأة المسلمة القراءة والكتابة حتى وصلت المرأة الى أسمى درجات العلم والثقافة ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم فى العصور الذهبية للاسلام ، فكان من النساء المسلمات الكاتبة والشاعرة والطبيبة والمعلمة والقاضية ولم يستطع المترددون الوقوف فى سبيل تعليمها الا فى البلاد الضعيفة بسبب الاحتلال الأجنبى ففى تلك البلاد حرمت المرأة العلم والنور وحجبت عن الأعين وتركت فى دارها جاهلة لا تقرأ ولا تكتب ٠

وفى كتب الأدب العربى والتاريخ الاسلامى عدد كبير من النساء المسلمات الشهيرات نذكر منهن :

١ ـ علية بنت المهدى : وهى شاعرة معروفة بالنبوغ الشعرى والمعانى الرقيقة والعبارة الجزلة ٠

٢ ـ عائشة بنت أحمد بن قادم : وقد نشأت بقرطبة ولم يكن فى زمانها فى الاندلس من يماثلها فى فهمها وعلمها وأدبها وشعرها وفصاحتها وعفتها ٠ وكانت تجيد الخط وتكتب المصاحف وتجمع الكتب الثمينة فى خزانتها ودارها وقد توفيت سنة ٤٠٠ هـ ٠

٣ ـ ولادة بنت الخليفة المستكفى بالله : وهى أديبة شاعرة ناظرت الأدباء والشعراء وكان قصرها منتدى متسعا يأوى اليه رجال الادب والشعر والوزراء والعلماء والقضاة ٠

---

(١) امة ٠

٤ ـ لبنى : وهى الكاتبة فى ديوان الخليفة الحكم بن عبد الرحمن المجيدة للكتابة والشاعرة العالمة بالنحو ، المتينة فى الحساب والعلم . وقد توفيت سنة ٣٩٢ هـ .

٥ ـ فضل : وهى جارية تعلمت فنون الأدب والشعر والغناء وقد اشتريت وأهديت الى الخليفة المتوكل وعرفت بالذكاء وحضور البديهة والنبوغ فى الشعر الغنائى الذى يحتاج الى رقة الطبع والعاطفة وقوة التأثير . وقد ظهرت فى عصر تميز بفحول الشعراء كالبحترى وابن الرومى وعلى بن الجهم فلم تقصر عن هؤلاء جميعا .

٦ ـ وقد أشار ابن أبى أصيبعه فى كتابه « طبقات الأطباء » الى طبيبتين مسلمتين درستا الطب واشتغلتا به . منهما الطبيبة زينب طبيبة بنى أود التى عرفت بعلاج أمراض العيون . وكانت النساء المسلمات فى الحروب الاسلامية يقمن بمداواة الجرحى وخدمتهم ومعاونتهم كما تعمل سيدات الهلال الأحمر والصليب الأحمر فى الحروب اليوم .

روى أن أمية بنت قيس الغفارية قالت : أتيت رسول الله فى نسوة من بنى غفار وهو سائر الى غزوة خيبر فقلنا : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : على بركة الله .

وتقول الربيع بنت معوذ : كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسقى القوم ونخدمهم ونداوى الجرحى ونرد القتلى والجرحى الى المدينة .

ومن الطبيبات المسلمات أيضا الطبيبة أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الطنجالى وقد كانت طبيبة مبرزة شهيرة فى الطب كثيرة الاطلاع وأجادت علوما كثيرة مع الطب .

وأخت الحفيد بن زهر وابنتها كانتا عالمتين بالطب والمداواة ولهما خبرة كبيرة بعلاج أمراض النساء (١) .

٧ ـ وفى العصر العباسى فى عهد الخليفة المقتدر أشارت كتب التاريخ الى امرأة مسلمة تولت القضاء واطمأن الناس الى عدالتها فى الحكم واعترفوا بفضلها ومقدرتها القضائية .

ومع أن الميدان السياسى صعب وليس بسهل نجد بين المسلمات

---

(١) « طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة » ج ٢ صفحة ٧٠ .

نساء اشتغلن بالسياسة وناصرن طائفة على أخرى معتمدات على فصاحتهن وعاطفتهن المؤثرة وبديهتهن الحاضرة ومقدرتهن الخطابية الملتهبة كما حدث وقت القتال بين على ومعاوية فقد ناصرت نساء كثيرات عليا مثل هند بنت يزيد الانصارية والزرقاء بنت عدى بن قيس وأم الخير البارقية وعكرشة بنت الاطروش وقد أعجب معاوية بن أبى سفيان بالنساء اللاتى خاصمنه وخطبن ضده . فبعث وطلب بعض الخطيبات منهن لمناقشتهن ومساجلتهن ومعرفة ما عسى أن يقلنه بعد أن قتل على وتولى معاوية الخلافة (١) وفى العصور التى تلت عصر معاوية لعبت الخيزران وشجرة الدر دورا كبيرا فى سياسة الدولة الاسلامية .

ومما سبق يتبين ان المرأة المسلمة لم تكتف بالدراسة وتحصيل العلم ولكنها انتفعت بعلمها وذكائها وذوقها الأدبى ونشاطها العقلى فى النواحى التى اشتغلت بها كالأدب والسياسة والاجتماع والطب والقضاء والتدريس ولكن عدد المشتغلات بمهنة التعليم من المسلمات كان أكثر ممن اشتغلن بالمهن الأخرى كما هو حادث الآن . وكان العلماء من الرجال يقومون بالتدريس للنساء وكانت النساء يقمن بالتدريس للرجال .

وقد اعترف بعض العلماء والأدباء بفضل النساء المسلمات فقد ذكر ابن خلكان أن أم المؤيد زينب بنت الشعرى كانت عالمة ، أخذت العلم عن كبار العلماء وروته عنهم ومنحوها اجازة علمية أدبية وقال : انها منحته اجازة كتبتها له فى سنة ٦١٠ هـ .

وقد قيل : ان طرفة بنت عبد العزيز بن موسى قد تلقت العلم عن العلماء المشهورين فى عصرها بالأندلس وأخذت عنهم كثيرا من كتبهم . وكان من النساء مدرسات منقطعات لتدريس العلوم الدينية للنساء وللعبادة . هذا وصف موجز لما نالته المرأة المسلمة من التعليم العالى وهذا حظها منه فى وقت حاول فيه دعاة التردد فرض قيود عليها فى التعلم . ولم يقل نصيبها من التعليم الأولى عن نصيبها من التعليم العالى . ولكننا لا نستطيع أن ننكر أو نتناسى ان تعليم الأبناء كان أسهل من تعليم البنات ، وان تعليم البنات كان فيه شىء من الصعوبة وان عدد المتعلمين من المسلمين أكثر من عدد المتعلمات من المسلمات . والسبب فى القلة هو ما كان يوضع من العقبات فى سبيل تعليم النساء تعليما مدنيا وفى سبيل تعليمهن الخط .. والكتابة . وقد رأى بعض

---

(١) «صبح الاعشى للقلقشندى» ج ١ ص ٢٤٨ .

المتشـــددين ألا يعلم البنون والبنات فى مكتب واحد أو مدرسة واحدة خوفا من اثر الاختلاط ومع هذا كان الذكور يتعلمون أخيرا مع الاناث فى كتاب واحد وخاصة فى البلاد الريفية والنائية حتى وقتنا هذا وكانت البنات يتعلمن فى بيوتهن فى البدء على أيدى بعض المؤدبين أو الأقارب ٠

والحق ان الاســـلام قد اعترف بحق البنات فى التعلم الى أقصى حدود العلم ــ ان كان للعلم نهاية ــ فتعلمت التعليم الابتدائى واستمرت فى التعلم وطلب العلم حتى وصلت الى التعليم العالى فدرست المرأة المسلمة الأدب والدين والطب واشتغلت بالقضاء واشتركت فى الشئون السياسية ، وكان من النساء٠ الأديبات والكاتبات والشاعرات والخطيبات والفقيهات والطبيبات والقاضيات والسياسيات ٠ وبلغت كثيرات منهن منزلة علمية رفيعة فكان منهن الاستاذات والمدرسات للامام الشـــافعى وابن خلكان وأبى حيان وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين ويكفيهن هذا فخرا بين النساء فى جميع الأديان ٠ وهذا أكبر دليل على ما تمتاز به التربية الاســـلامية من الحرية فى التعلم والديمقراطية فى التعليم واليقظة الروحية فى الاسلام ٠

موازنة المراة المسلمة والمراة المسيحية فى القرون الوسطى :

اذا قلبنا صفحات التاريخ فى القرون الوســطى وجدنا أن المرأة الأوربية المســـيحية كانت غارقة فى بحار الجهل وأن الاغريق القدماء ــ ما عدا الاسبرطيين وأفلاطون ــ مع ما كان لهم من حضارة ومدنية ــ عدوا المرأة جزءا من المتاع الذى يلهو به الرجل ويتمتع به وبخلوا عليها بحقها فى التعلم وفى المساواة بالرجل من الناحية الاجتماعية ، وألفينا أن الألمان كانوا يقـــولون : ان خزانة الملابس هى مكتبة المرأة ٠ وأن الفرنسيين كانوا يعتقدون أن المرأة يجب أن تكون بين أربعة جدران ورأينا ان المرأة المسلمة قد بلغت فى العصور الوســـطى منزلة سامية من الناحية العلمية والنهضـــة العقلية والســـمو الروحى واشتركت فى الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الاسلامى فى عصـــوره الذهبية ووصلت الى درجة كبيرة من الثقافة والعلم كانت تحسد عليها من هذا كله يتضح أنه لا صحة للرأى المنتشر بين المتعصبين من الغربيين بأن جهل المرأة المسلمة راجع الى أسباب دينية وتقاليد اسلامية فالاسلام دين علم ونور لا دين جهل وظلمة وقد أوجب طلب العلم على كل مســـلم ومسلمة ٠ ولكن روح التعصب هو الذى نشر هـــذه الفكرة الخاطئة عن الاسلام ٠ وان من يقلب الصفحات الماضية للمرأة المسلمة سيجد فيهـــا

صورا للعظمة الروحيـــة والعناية بالقيم المعنوية التى يرمز اليها تعليم المرأة فى عصر النهضة الاسلامية • وللنساء المسلمات ماض مجيد تستطيع المرأة اليوم أن تفخر به وتبنى فوقه لنفسها مجدا علميا وروحيا آخر •

والحق اننا لســـنا فى حاجة الى ذكر الفوائد التى تعود على الأمة الاسلامية من تعليم البنات فقد مضى الوقت الذى كان يعد فيه تعليم المرأة المسلمة عارا واننا ننتظر من كل أب مسلم أن يقوم بتعليم أبنائه وبناته من غير تفرقه لأننا اذا قمنا بتعليم الابن فالتعليم لا يتعدى فردا واحدا ولكننا اذا علمنا البنت فكأننا قمنا بتعليم أسرة مسلمة وتثقيفها لأن بنت اليوم أم فى المستقبل تقوم بتربية أبنائها وبناتها • ولو القينا نظرة واحدة الى التاريخ لوجدنا للأمهات فضلا عظيما فى تكوين العظماء من الأبناء •

وأعتقد انه قد مضى الوقت الذى كانت فيه المرأة المسلمة منكودة الحظ مهضومة الحق مهملة فى التعليم • ولا ينكر أحد من المســـلمين اليوم فضل تعليم البنت • وانى أقصد بالتعليم التعليم الذى يؤدى الى الفضيلة والرقى والكمال فى كل ناحية من نواحى الحياة • وليس هناك مضرة ولا منقصة ولا عار فى تعليم الفتاة المسلمة التعليم الذى يمكنهـا من كسب عيشها والاعتماد على نفسها اذا ابتليت بيوم أسود أو أصيبت بفقر أو فقد زوج أو أب •

امن العيب أن تجعل المرأة حية بالعلم قادرة على العمل ؟ هل العار فى العمل والقدرة على كسب العيش من طريق شريف أو فى الاستجداء من الناس والالتجاء الى وسائل غير شريفة ؟ ماذا تستطيع المرأة المسلمة أن تفعل اذا تركت وحولها خمسة أطفال لا دخل لهم ولا معين ؟ فيأيها المسلمون علموا بناتكم ولا تعطلوا نصف الأمة الاسلامية فمحال أن ترقى مادام نصفها الذى يقـــوم بالتربية المنزلية متعطلا جاهلا لا يعرف عن الحياة شيئا • ساعدوها بالتربية الكاملة ورقوها بالعلم والتعليم واحترموها فما هى الا مخلوق مثلكم • ولا تتركوها جاهلة مهملة • وفكروا فى تربية بناتكم كما تفكرون فى تربية أبنائكم •

ان المرأة ضعيفة القوة فقووها بالعلم وحسن الخلق ولا تقبروها بالجهل وهى حية • افتحوا سبل التعليم أمامهـــا فان المرأة اذا تعلمت استطاعت أن تقوم بما يقوم به الرجل ، استطاعت أن تكون معلمة واستاذة وطبيبة للنساء والأطفال والعيون والامراض الباطنية والأسنان والأنف والأذن والحنجرة وممرضة للمرضى ومربية وكاتبة ومؤلفة وباحثة وعالمة

ومهندسة معمارية ومدافعة عن حقوق المرأة · واستيقظوا من سباتكم ان كنتم نائمين · ورحم الله حافظ ابراهيم اذ قال :

الأم مدرســـة اذا أعددتهـــا
أعددت شـعبا طيب الاعراق

ورحم الله شوقي حيث قال :

واذا النســـاء نشـــأن فى أمية
رضـع الرجال جهـالة وخمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحيـاة وخلفـــاه ذليلا
ان اليتيم هو الذى تلقى له
أما تخلت أو أبا مشـــغولا

وليس الذكاء مقصورا على الأبناء أو خاصا بالبنات بل هو شركة بين النوعين ومن النقص أن نوجه العناية الى نوع ويهمل الآخر · ومن الحكمة أن ننتفع بذكاء البنات فى دائرة حياتهن كما ننتفع بذكاء البنين حتى نجد شعبا مسلما كاملا جمع بين الجنسين ينهض ببلاده الاسلامية ويعيد اليها تراثها الخالد فى عصورها الذهبية ·

وقد أباحت الشريعة الاسلامية للمرأة أن تتجر ومنحتها الحق فى التجارة والحق فى التملك والبيع والشراء والتصرف فيما تملك من غير رجوع الى زوجها · وجعل لها الحق فى أن ترث وهى زوجة · وترث وهى أم أو أخت · فالاسلام أعطى المرأة حقها فى التعليم · وحقها فى التملك وحقها فى الميراث · وهو دين العلم والديموقراطية والعدالة الاجتماعية ·